المحاضرة الثامنة

(اشهر البابوات في اوائل العصور الوسطى)

البابا ليو الأول الكبير (٤٤٠ – ٤٦١) :

وظهر خلال القرن الخامس عدد من البابوات كان لهم دور هام في تعزيز مكانة البابوية وفي وضع اللبنات الأولى في صرحها الشامخ وأشهر هؤلاء البابوات هم: البابا ليو الأول الكبير. وهذا هو اول البابوات الثلاثة الذين لقبوا بهذا اللقب (الكبير) . وقد سبق ان تطرقنا الى خروجه لمواجهة اتيلا لإقناعه بالانصراف عن روما . هذا وكان لموقفه القوي والثابت في مجمع : "chalcedon "، اثر في ارغام بطريق القسطنطينية على الاعتراف بالسيادة البابوية ، ومن انجازاته الأخرى ، نجاحه في انتزاع مرسوم من الامبراطور فالنتين عام ٤٤٥ ، اعترف بموجبه بسلطة البابا القضائية العليا على جميع اساقفة الغرب. وقد طلب الامبراطور من جميع الموظفين الحكوميين التقيد بهذا المرسوم وتنفيذه.

البابا جلاسيوس الأول (٤٩٢ – ٤٩٦) :

واشتهر البابا جلاسيوس الاول بنظريته الخاصة بثنائية السلطة والتي يطلق عليها احياناً نظرية جلاسيوس . وتقول هذه النظرية بوجود سلطتين لهذا العالم احداهما دينية والثانية زمنية انهما مختلفتان ولكن مصدرهما واحد هو الله . وقد تعتمد الواحدة منهما على الاخرى ولكنهما مستقلتان . كل واحدة منهما سيدة في مجالها الخاص فالسلطة الزمنية تكون خاضعة في المجال الخاص للسلطة الدينية والعكس بالعكس. وتبدو نظرية جلاسيوس على جانب معقول من الحياد ولكن الأمر غير ذلك اذ ان السلطتين متداخلتان ولا يمكن الفصل بينهما تماما . علما بان سيطرة احدى السلطتين على الأخرى، لم يكن قد اثير عندما قال جلاسيوس بنظريته . وعندما اثير هذا الموضوع بعد قرون ، وجد انصار الكنيسة في نظرية جلاسيوس ما يؤيد ادعاء البابوية في السيادة . فقد شرح كل من يوناس الأورلياني وهنكمار الريمـــي في القرن التاسع النظرية المذكورة قائلين : ان كلا من السلطتين الزمنية والدينية داخل في حظيرة الكنيسة . وأن واجب رجل الدين يقتضيه التأكد من قيام الحاكم الدنيوي بواجبه ، وكما انه في حفل مسح الملك بالزيت المقدس يكون الماسح في مرتبة درجة فوق الممسوح، كذلك يكون رجل الدين في مرتبة فوق الحاكم الدنيوي وفقدت البابوية الكثير من نفوذها ومكانتها خلال القرن السادس ففي خضم الفوضى والغزوات فقد البابا ما كان قد حققه من مكاسب خلال القرنين الماضيين وكان البابا نفسه شريدا في بعض الاحيان معزولا في مدينته روما البائسة الفقيرة الخربة في احيان اخرى . ولكن هذا التدهور في السلطة البابوية

توقف في نهاية القرن المذكور بل وقدر للبابوية ان يرتقي عرشها في مطلع العقد الأخير من القرن السادس من هو بحق وكما وصف اب البابوية في العصور الوسطى .

البابا غريغوري الكبير (٥٩٠ – ٦٠٤) :

لعل تطور الكنيسة المسيحية في الغرب في اوائل العصور الوسطى وارتفاع مكانة البابوات وتعاظم منزلتهم . يتصل اتصالا مباشرا ووثيقا بالبابا غريغوري الكبير فهو من اعظم البابوات في تاريخ الكنيسة المسيحية على مدى العصور. وهو الذي وضع الأساس الذي شاد عليه البابوات من بعده في المجالين الديني والدنيوي خلال القرون الثالثة . ولد غريغوري في روما حوالي عام ٥٤٠ من عائلة رومانية نبيلة تميزت بالجاه والثراء. تولى في شبابه مناصب حكومية عديدة حيث عين حاكما لاحدى المدن ولكنه فضل ترك الحياة ومباهجها والدخول الى احد الاديرة ، بعد ان وهب كل ما يملك من اراضي واحجار كريمة واثاث الى الكنيسة . ومثل هذا الرجل لا يمكن ان تستغني عنه الكنيسة لتدعه يقضي حياته في الدير . فقد استدعاه البابا الى روما حيث عهد اليه بمناصب دينية رفيعة ثم انتدبه بمهمة الى القسطنطينية واختير عام ٥٩٠ ليجلس على عرش القديس بطرس . امتاز غريغوري باحترامه لسلطة الامبراطور الشرعية ، وفي الوقت نفسه تميز باعتزازه بمنصبه البابوي ، وبرفضه اخضاع هذا المنصب الى اية سلطة اخرى .

كانت ظروف ايطاليا السياسية في الوقت الذي ارتقى فيه غريغوري عرش البابوية تؤهله القيام بدور سياسي هام. فقد ازداد خطر اللومبارديين وعبثه في ايطاليا . وعندما كانت مساعدة امبراطور الشرق غير متوقعة فقد لجأ غريغوري الى طلب مساعدة الفرنجة الذين كانت قد تمت هدايتهم الى الكثلكة منذ زمن طويل وكان غريغوري قد أولى التبشير عناية خاصة ، فاخذت الكثلكة تنتشر بسرعة بين الغوط الغربيين في اسبانيا . ولعل هداية السكسون في انكلترا إلى الكثلكة من اهم انجازات حركة التبشير في هذا الوقت. ولجهو دغريغوري فضل كبير فيها . ولما كان غريغوري راهبا في طور من اطوار حياته فقد اظهر وهو على راس الكنيسة حماسا خاصا للرهبنة.

واظهر في علاقته بالبزنطيين واللومبارديين والفرنجة درجة فائقة من المهارة السياسية وقد مكنته تلك المهارة من الاحتفاظ بمقام محترم ورفيع ، كما مكنته في ذلك الجو المضطرب من الابقاء على سلامة ولاية روما التي كانت تحت ادارته ولعل خير ما يبرر حنكته السياسية موقفه من بطريق القسطنطينية عندما اصر هذا على استخدام لقب البطريق العام لقد قال له ان مثل هذا الوصف اقرب الى الخلق عبر المسيحي منه الى روح التواضع المسيحية . وقد استخدم غريغوري لنفسه هذا النعت خادم خدم الله صار هذا احد القاب البابوية منذ ذلك التاريخ

ولم يقتصر اهتمام غريغوري على النواحي الدينية والسياسية ، بل تعداها الى النواحي المالية والتجارية . فقد كان حريصا كل الحرص : في الحفاظ على موارد الكنيسة المالية ، دقيقا وحاذقا ، بشكل يثير الاعجاب، في استثمارها وتنميتها . كان يختار الاسواق الملائمة ليرسل لها المحاصيل الزراعية التي تنتجها حقول الكنيسة ومزارعها ، فيضمن بذلك الربح الوفير ولم يبخل على الفقراء والبائسين واللاجئين بجزء من اموال الكنيسة ومواردها .

واضافة الى كل ما سبق فقذ كان لغريغوري اهتمامات اخرى ، فوضع ترنيما خاصا لموسيقى الكنيسة . ووضع انشادا رسميا لها لا يزال يحمل اسمه حتى يومنا هذا . ولغريغوري مؤلفات عديدة اشهرها تلك التي يدور موضوعها حول توجيه وارشاد رجال الدين. وحول الشعائر والمراسيم الدينية ، وقصص الانبياء والقديسين . والخلاصة فان البابا غريغوري يعتبر بحق واحد من ابرز الشخصيات في تاريخ الكنيسة المسيحية و من مشيدي بنائها الشامخ .

ولا يفوتنا ، وقد تكلمنا عن البابوية ونموها في اوائل العصور الوسطى ان نذكر امورا مهمة عملت على تثبيت اسس المسيحية في تلك الحقبة القلقة من تاريخها فادت بذلك بشكل غير مباشر الى تعزيز مركز البابوية من هذه : (١) جهود من يعرفون باباء الكنيسة ونخص بالذكر منهم القديس امبروس (St. Ambrose)) عام ٣٤٠ – ٣٩٨ . والقديس جيروم (St. Jerome) عام ٤٢٠ والقديس اوغسطين (St. Augustine) ٣٥٤ – ٤٣٠ . وقد وضع هؤلاء الحجر الاساس للحياة الفكرية والثقافية للعصور الوسطى . (٢) الحركة الديرية (٣) الحركات التبشيريه . وسوف ياتي الكلام عن هذه كلها في دروس قادمة .